

- وقُدِّمَ إلى السيف شيخُ حُطْمَةٍ، قد بلغ الثمانين أو قاربها، وهمَّ الجَلَدُ أن يرمي رأسه حين رفع الشيخ يده قائلاً: كُفْ! إِنَّ لي حديثاً إلى الأمير ...
- وسيق الشيخُ إلى حيث كان مسلمة، فقال: يا ولدي!
- اخرس! يَنَمَ ولدُك.
- هل لك في صفقةٍ رابحة، فتبيعني رأسي برجلين عربيَّين؟
- رجلين عربيَّين؟
- نعم، في الأسر عندي منذ سنين، ولعلهما من السادة، فإن شئت عفوت عن شيخ حُطْمَةٍ لا يحملُ سيفاً ولا يدفعُ غارة، واستنقذت أسيرَيْن من قومك.
- جئ بهما.
- فيسمحُ لي الأمير أن أذهب إلى أهلي فأعود بهما.
- تحتال حتى تفر بدمك!
- ليس الغدر من طبعي!
- ولم يكن من طبع إليون القيصر؟
- ذاك ابنُ إسكافٍ لا يَمُتُ بِعِرْقٍ إلى أسرة نبيلة.
- وتمتُّ أنت إلى قسطنطين الأكبر؟
- ليس الكذب من طبعي.
- أمفاخرة في هذا المقام يا ابن الغادرة؟
- لم تغدر أُمِّي قط.
- اخرس ... رأسه يا حَرَسِي!
- يموت العربيَّان إذن أيها الأمير، وإني لأظنُّ لهما في قومهما شأنًا.
- ومن يكُفُّك حتى تعود؟ ...
- أخذ الشيخ يُقلِّبُ نظره في وجوه الجُند، ثم أشار إلى فتًى منهم: هذا يكفلني أيها الأمير.
- تكفُّله يا عُتبية؟
- قد كفَلته.
- تبیعُ شبابك بهَرَمِه؟ إنه ليُخادعُك عن نفسه!
- قد كفَلته.
- هَبْ مسلمة واقفاً، قد بان في وجهه الغضب، ثم مضى إلى خيمته غير متلبِّث، وأحاط العربُ بصاحبهم يسألونه مؤنِّبين مُشْفِقِينَ: ما حملك على هذا يا عتبية؟